تكنولوجيا التعليم ... الواقع والمأمول
وجهة نظر ... قراءة مختلفة

بقلم: د/ ممدوح عبد الحميد إبراهيم
مدرس تكنولوجيا التعليم- تربية نوعية –جامعة المنيا

استهلال لابد منها:

عند تحليل واقع تكنولوجيا التعليم تحليلاً موضوعياً طبقاً لتحليل SOWT الرباعي (تحليل الوضع الراهن) يجده لا يخلو من نقاط قوة، وفرص، كما لا يخلو من نقاط ضعف وتحديات، ورغم مما يسفر عنه مثل هذا التحليل ربما من زيادة نقاط الضعف مقارنة بنقاط القوة، والتحديات مقارنة بالفرص ... إلا أنه من منطلق نظرة تفاؤلية عكس النظرة التي ربما قد تكون سائدة لدى كثيرين ... أجد أن تكنولوجيا التعليم تحظى بقواعد ثابتة، وأعمدة متينة ممثلة في الفرص الخارجية، ونقاط القوة الداخلية.

أسس ومنطلقات الواقع المُعاش لتكنولوجيا التعليم:

واقع به: مؤسسات وهيئات، أقسام وإدارات، شعب وتخصصات، خبراء ومتخصصون، طلاب وباحثون، معلمون وأخصائيون، مهتمون ومحبون، مهمومون ومتطلعون، مناهج ومقررات، رسائل ودراسات، ندوات ومؤتمرات، ورش عمل ودورات ... ألا يكون له فوائد ومميزات، وتواجد وتطلعات لوضع حلول لكثير من مشكلاتنا التعليمية.

كل هذا وغيره كثير أفسح الطريق للمجال – رغم حداثته- لينافس مجالات أخرى عريقة تحاول أن تجد لها ارتباطا معه كسمة وميزه يعلو بها شأنها وتزداد بها قيمتها.

فرغم هجوم بعض التربويين على هذا المجال في بدايته إلا أنهم سرعان ما حاولوا إيجاد الفرص ليربطوا أنفسهم به فخراً ورفعة وعلو منزلة ومكانة.

فحقيقة هذا العلم أن لا ينظر له بمعزل عن علوم أخرى فهو منظومة لغيره وغيره منظومة له إذا اشتكى إحداها تألمت له سائر المنظومات، فهو علم سيد وخادم ... سيد في أن له ما يميزه ويتفرد به ... لحظي التطور دائم التقدم، وخادم في حل المشكلات، ووضع البدائل، وتنمية التفكير، والإبداع.

مأمول هذا العلم:

إن مأمول هذا العلم ينطلق من أن لا يعاند ويحارب ويهمش من قبل أصحاب العلوم الأخرى- خاصة العلوم التي بينها وبينه صلة رحم، وقرب جوار، وأعني ذلك علوم التربية، وعلوم الاتصال.

كما لابد له من أن يساند ويدعم من قبل أهله وأصحابه وأبنائه. فالمشكلة تكون مستعصية عن الحل عندما تأتي ممن تأمن جانبه، وتنتظر بره، فبدلاً من أن تتعهد النبتة- شباب التخصص- بالرعاية، حتى تنمو وتزدهر إذا من يقطعها ويحاول أن لا يبقى لها أثراً حتى تعيد نفسها مرة أخرى.

فكل جهد وفكر في المجال لابد وأن يحترم ويقدر ويثمن إلى جانب أنه يمكن أن يطور ويجود ويحسن لا أن يرد على صاحبه، فقد يضيع العلم بين التعالي والكبر والغرور والعناد ... وهذا يضر ولا ينفع ... يهدم ولا يبني.

همسة في أذن خبراء وعلماء هذا العلم:

أقولها صريحة لكل محب ومهموم بهذا التخصص من أهل الشأن وأصحاب التخصص، وهم كثر... لا تجعلوا لمن في قلوبهم مرض وهم قليل سبيل في وقف تقدم هذا العلم ونشره الذي هو مناقض لطبيعته حتى لا يتسببون في العزوف عن إجراء الأبحاث العلمية والمساهمة في زيادة الإنتاج العلمي الذي روح أي علم وسبب تقدمه.

بيدي لا بيد عمرو:

واقع ومستقبل وأمل تقدم هذا العلم ... لا يكون إلا بواسطة أهله وأبنائه وأصحابه ومحبيه ممن يتمتعون بقلوب نقية، وعقل متفتح ناضج، وفكر ثاقب متوقد، وتعاون بناء، وخلق رفيع، وعلم نافع.

فالبنية التحتية لأي علم – كما أعتقد– هي البنية الأخلاقية فأي علم لا يقوم على أخلاق وقيم وأعراف نبيلة لا يستمر وسرعان ما يتلاشى ويزول.

خاتمة:

الأمل لا يأتي إلا من خلال واقع موجود وواقع تكنولوجيا التعليم يمكن أن يبنى عليه في حل كثير من المشكلات التعليمية، لكن الأمر يحتاج إلى مشاركة المؤسسات التعليمية المختلفة– همومها ومشكلاتها للأقسام والتخصصات الجامعية بحثاً عن حلول، بمعني التقارب بين وزارتي التربية والتعليم ووزارة التعليم العالي كجهات بحثية، من ناحية بحث الأولى عن الحلول لمشكلاتها التي تحددها بدقة لدى الثانية... هذا من جانب.

ومن جانب أخر استخدام واستثمار الإمكانات المتاحة استخداماً واستثماراً أمثل ... لا نحلق في الفضاء بعيداً عن الواقع، ولا نبحث عما يصعب تطبيقه من أجل مكاسب ذاتية، ولا يكون همنا الأول المسميات بمعزلٍ عما نملك، وما نعيش... تحديد المشكلة أولى خطوات التفكير العلمي وليس وضع الحلول ثم البحث عن مشكلة تناسبها.

لدينا من القدرات والعقول ما ينهض بأي علم لكن شيء من الإخلاص والتركيز والتعاون البناء والعمل الجاد، والاعتراف بالفضل لأهله، والاعتراف بسنة تواصل الأجيال.